تاريخ الأراتقة في مدينة ماردين

MARDİN ARTUKLULARI TARİHİ

Dr. Öğr. Üyesi Hüseyin ALİ
Ağrı İbrahim Çeçen Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi
Arap Dili ve Belagatı ABD
hali@agri.edu.tr
orcid.org/0000-0003-3237-1204

Atıf Gösterme: ALİ, Hüseyin ,تاريخ الأراتقة في مدينة ماردين, *Ağrı İslâmi İlimler Dergisi (AGİİD),* 2020, (6), s.157-176.

Geliş Tarihi:

20 Mart 2020

Kabul Tarihi:

2 Haziran 2020

© 2020 AGİİD

Tüm Hakları Saklıdır.

الملخص:في هذا البحث الذي هو بعنوان تاريخ الأراتقة في مدينة ماردين سنتحدث عن تاريخ ملوك الدولة الأرتقية في مدينة ماردين والذين هم فرع من القبائل التركمانية من الأوغوز أو الغز والتي سكنت تلك المنطقة وحكمت ما يقارب ثلاثمائة سنة وكانت تلك الفترة من أزهى وأفضل العصور التي عاشتها مدينة ماردين فقد تعاقب الملوك الأراتقة على حكم ماردين وساهموا في النهضة الاقتصادية والعمرانية والعلمية لتلك المدينة والتي مازالت آثارهم شاهدة على ذلك حتى اليوم ونرى ذلك واضحاً في المساجد والمدارس التي بنيت في ماردين وتنسب لملوك الدولة الأرتقية وقد تأسست الدولة الأرتقية على يد جدهم أرتق بن أكسك في القدس ثم انتقلوا إلى ماردين وديار بكر وخرتبرت وحصن كيفا وجعلوها عواصم لهم وكانت ماردين إحدى هذه العواصم. لقد كان للملوك الأراتقة صفحات مشرقة في مقاومة الغزو الصليبي، وصمدت عاصمتهم ماردين بوجه الغزو المغولي مايقارب العامين وبسبب الموقع الاستراتيجي لماردين أدرك المغول أن السيطرة على ماردين يعني السيطرة على جميع مدن الجزيرة الفراتية. شارك الملوك الأراتقة في صد هجمات الصليبيين في أنطاكية وحلب وبلاد الشام وشاركوا في معركة حطين التي ساهمت بتحرير القدس وقد سجل أبناء ماردين أروع الملاحم البطولية.

الكلمات المفتاحية: *الأراتقة، ماردين، أرتق بن أكسك، الملوك الأراتقة، الأوغوز*

Özet: Mardin Artukluları Tarihi isimli bu makalede Mardin'de kurulan Artuklu Beyliği meliklerinden bahsedeceğiz. Bilindiği üzere Artuklu Beyliği Türkmen boylarından olup Oğuz Türklerinden gelmektedir. Bu Türk boyu Mardin ve çevresine yerleşmiş olup bu bölgelerde yaklaşık üç yüz yıl hüküm sürmüştür. Bu dönemde Mardin en parlak ve en iyi dönemini yaşamıştır. Artuklu Melikleri, medeniyet, ilim ve ekonomi alanında sayısız katkılar sunmuşlardır. Bu şehirde inşa edilen cami ve medreseler Artuklu Beyliğinin büyüklüğüne ve gücüne şahitlik eden önemli eserlerdir. Artuklu Beyliğinin kurucusu Artuk Bey'dir. Bu beylik Kudüs ve daha sonraları da Mardin, Hasankeyf, Diyarbakır ve Harput gibi yerlerde hüküm sürmüş olup zaman içinde bu şehirleri merkez haline getirmişlerdir.

Anahtar Kelimeler: *Artuklular, Mardin, Artuk Bey, Artuklu Melikleri, Oğuzlar*

المقدمة

اكتسبت مدينة ماردين أهمية كبيرة في التاريخ لوقوعها على طرق التجارة القديمة الواصلة بين بلاد الشام، والعراق، والأناضول، وتعود أهمية هذه المدينة في التاريخ لِمَا كان لها من دور واضح ومساهمة فعّالة في الحضارة الإسلامية، فنزلها الإنسان منذ أقدم العصور، فالتقت فيها الحضارات فتبادلوا الآراء والمناهج، وشغلت دوراً فكرياً وعلمياً في التاريخ، كان لماردين نشاط ملحوظ في الجوانب الحضارية منذ الفتح الإسلامي وأدت دوراً فاعلاً في الحضارة الإسلامية فبنيت فيها المساجد والمدارس العلمية وبرع فيها علماء وأدباء في شتى المعارف والعلوم وكانت تعد ثغراً للمسلمين ساهمت في صد هجمات الأعداء وكان لها تأثير في نشر الإسلام وتثبيت الوجود الإسلامي في تلك الأصقاع البعيدة عن عاصمة الدولة العربية

الإسلامية ولهذه المدينة وقائع تاريخية مهمة خاصة في العصر الأرتقي حين جعلوها عاصمة لمملكتهم ما يقارب ثلاثمائة سنة وكانت تلك الفترة من أزهى وأفضل العصور التي عاشتها مدينة ماردين فقد تعاقب الملوك الأراتقة على حكم ماردين وساهموا في النهضة الاقتصادية والعمرانية والعلمية لتلك المدينة والتي مازالت آثارهم شاهدة على ذلك حتى اليوم ونرى ذلك واضحاً في المساجد والمدارس التي بنيت في ماردين وتنسب لملوك الدولة الأرتقية.

لقد كان للملوك الأراتقة صفحات مشرقة في مقاومة الغزو الصليبي، وصمدت عاصمتهم ماردين بوجه الغزو المغولي مايقارب العامين وبسبب الموقع الاستراتيجي لماردين أدرك المغول أن السيطرة على ماردين يعني السيطرة على جميع مدن الجزيرة الفراتية.

شارك الملوك الأراتقة في صد هجمات الصليبيين في أنطاكية وحلب وبلاد الشام وشاركوا في معركة حطين التي ساهمت بتحرير القدس وقد سجل أبناء ماردين أروع الملاحم البطولية.

المبحث الأول – تاريخ وأصل الأراتقة

"بنو أرتق" هم أسرة تركمانية الأصل, تنسب إلى قبيلة الدوغر(Döğer) التركمانية, وهي إحدى العشائر التي تنتمي إلى قبيلة الأوغوز أو الغز(OĞUZLAR). وسميت هذه الأسرة بالأرتقية نسبة إلى مؤسسها, وقائدها التركماني "أرتق بن أكسك أو أكسب" ويلقب بظهير الدين, وهو جد الملوك الأرتقية.[1]

وكانت هذه القبيلة والتي كانت زعامتها قد انتهت إلى أرتق بن أكسك من جملة القبائل التركمانية, التي انتظمت في صفوف القوات السلجوقية, التي عمل سلاطينها على استمالة زعماء هذه القبائل, بمنحهم الإقطاعات والاستقلال الذاتي داخل نطاقها, كما سعوا إلى جذبهم إليهم بمختلف الوسائل كتفويضهم قيادة بعض الحملات العسكرية, وتعليم أبنائهم الاضطلاع بالوظائف العسكرية والإدارية. ومن المؤكد أن قبيلة الدوغر(Döğer) كانت من ضمن القبائل التركمانية العديدة التي اشتركت في الزحف السلجوقي وبناء كيان الدولة السلجوقية.[2]

كان أرتق من مماليك السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان, ثالث سلاطين السلاجقة, والذي حكم بين سنتي(465-485هـ/1072-1092م), وقد قدّم أرتق لسلطانه خدمات عسكرية جليلة في فجر حياته السياسية, كان لها أثر كبير في إبرازه على المسرح السياسي والعسكري. ففي عام (465هـ/1072م) حارب في آسيا الصغرى ضد البيزنطيين, ثم عمل طيلة السنوات الخمس التالية في مهام إدارية لدى حكومة السلطان ملكشاه. وفي عام(470هـ/1077م), أُرْسِل على رأس حملة عسكرية لقتال قرامطة البحرين والمناطق المجاورة, وإخضاعهم للسلاجقة, فتم له النجاح في ذلك وأرسل كتاباً إلى بغداد, في نفس العام, باستيلائه على بلادهم. وبعد عامين من ذلك, أي في عام (472هـ/1079م) جعله ملكشاه تحت إمرة أخيه (تاج الدولة تُتُش) في الحملة السلجوقية التي توجهت إلى بلاد الشام. وكان أرتق خلال هذه الفترة قد قام بالسيطرة على منطقة (حلوان والجبل), وضمها إلى أملاك الدولة السلجوقية. وقد أدت هذه الجهود التي بذلها أرتق للسلاجقة إلى توليته على(حلوان وما إليها من أعمال العراق).

---

[1] أسماء إبراهيم محمد أحمد، ***بنو أرتق دراسة تاريخية***، رسالة ماجستير غير منشورة (المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، 2011)، 34-33.

[2] عماد الدين الخليل، ***الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام***، ط1 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1980)، 58.

بقي أرتق عاملاً على حلوان والمناطق المجاورة, من قبل السلاجقة حتى عام(477هـ/1084م). وقد خلت المصادر من الإشارة إلى الدور الذي قام به خلال ولايته على هذه المنطقة وما حققه من أعمال, سوى أن السلطان ملكشاه أرسله في عام (477هـ/1084م) على رأس عدد كبير من التركمان, لمساعدة (فخر الدولة بن جهير) في حملته العسكرية على ديار بكر حين طلب من السلطان إنجاده لاستكمال مهمته.[3]

المبحث الثاني- الأراتقة في القدس

تنقلت الأحوال بأرتق لدى انضمامه إلى تاج الدولة تُتُش, وما لبث أن أقطعه القدس عام (479هـ/1086م), تمهيداً للاعتماد على مقدرته العسكرية, إذ كان (منصوراً لم يشهد حرباً إلا وكان الظفر له), وللاستفادة كذلك من العدد الكبير من التركمان الذين كانوا تحت إمرته والذين عرفوا بإجلالهم له واعتدادهم به فضلاً عن إمكان اتخاذه حاجزاً بينه وبين الفاطميين في مصر.[4] وبعد ذلك اسقتر أمره في القدس وتوفي بها سنة(484هـ/1091م) مخلفاً إمرة القدس لولديه سقمان وإيلغازي، بعد أن قدَّم للسلاجقة خدمات عسكرية كبيرة في جهات عديدة كبيرة خلال حركتهم التوسعية في عهد السلطان ملكشاه.

ويعتبر أرتق بن أكسك واضع الكيان السياسي للأراتقة وقد استمر أبنائه في القدس حتى سنة 491هـ/1097م ثم خرجوا منها بسبب ما تعرضت له أنطاكية من حروب صليبية, نتج عنها ضعف نفوذ الأراتقة في القدس ثم قصدوا منطقة الجزيرة الفراتية وأسسوا فيها إمارات في مدن (دياربكر وماردين وحصن كيفا وخرتبرت ومَيَّافَارِقِين).[5]

المبحث الثالث – ملوك الدولة الأرتقية في ماردين

ماردين مدينة تقع في جنوب شرق الأناصول في تركيا ولفظ (مارِدِين) بكسر الراء والدال هي كلمة جمع مارد (ماردين)، والمارد هو كل شيء استعصى أي أن معناها المدينة الحصينة والتي يعصى دخولها. ولفظ ماردين في اللغة السريانية يفيد معنى (الحصن)[6]. قيل: إن مستحدثها كان أحد القادة البيزنطيين يقال له: أرسوس، كان قد أتى لمحاربة الفرس في نَصِيبِين. فلما مر بالموضع الذي أقيمت فيه والمسمى آنذاك بكاف الطيور أعجبه فنزله مع عساكره وأقام فيها مدة خمس سنوات، عمل من خلالها على زيادة العمران فيه، وابتنى القلعة التي سميت في عصره بقلعة الغراب سنة 551م.[7]

وهناك سبب آخر لتسميتها وهو أن ملكاً من ملوك الفرس كان له ولد يسمى "ماردين" وكان به مرض عجز عنه الأطباء، فأشار بعض الأطباء على والده وقالوا: لا بد له من مكان مرتفع يجري به الفصول الأربعة ليؤثر به الدواء. فتفحصوا فلم يجدوا سوى جبل الغراب بقرب جبل بارون أي جبل ماردين، فأرسله أبوه بصحبة الأطباء، فمكث فترة قليلة، فتعافى من مرضه، وطاب له المكان واتخذه موطناً، فنسب إليه.[8]

---

[3] الخليل، **الإمارات *الأرتقية في الجزيرة والشام***، 58-59.

[4] الخليل، **الإمارات *الأرتقية في الجزيرة والشام***، 65-66.

[5] أحمد، ***بنو أرتق دراسة تاريخية***، 35. الخليل، ***الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام***، 67-68.

[6] ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ***معجم البلدان***، (بيروت: دار صادر، 1977)، 5: 39. مجموعة من المؤلفين، ***الموسوعة العربية*** ط1. (دمشق: دار الفكر، 2002)، 17: 434.

[7] حسن شميساني، ***مدينة ماردين من الفتح العربي إلى سنة 1515م/921هـ***، ط1.(بيروت: دار عالم الكتب، 1987)، 12.

[8] عبدالسلام عمر بن محمد، **تاريخ ماردين من كتاب أم العبر**، تحقيق: حمدي السلفي وتحسين الدوسكي، ط1. (بيروت: دار المقتبس، 2104)، 21.

وقد وصفها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان فقال: "ماردين قلعة مشهورة على قمّة جبل الجزيرة مشرفة على دُنَيْسَر ودارا ونَصِيبِين وذلك الفضاء الواسع، وقُدّامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس ورُبط وخانقاوات ودورهم فيها كالدرج كل دار فوق الأخرى وكل درب منها يشرف على ما تحته من الدور ليس دون سطوحهم مانع وعندهم عيون قليلة الماء، وجلّ شربهم من صهاريج معدّة في دورهم، والذي لا شك فيه أنه ليس في الأرض كلها أحسن من قلعتها ولا أحصن ولا أحكم".[9]

وتُعدُّ من أشهر مدن إقليم الجزيرة الفراتية، بنيت على جبل يشرف على السهول الفسيحة المترامية تحته حتى جبال سنجار، كما أن لها حصناً منيعاً لا يستطيع أحد اختراقه.

وقد كانت تتبع ديار ربيعة في مرحلة من الزمن، وتارة تتبع ديار بكر وذلك حسب التبدلات والأحداث السياسية والاقتصادية التي كان يعيشها إقليم الجزيرة في عصوره المتتالية.[10]

وماردين تقع فوق منحدر صخري بارتفاع 1100متر في منتصف الطريق بين رأس العين و نَصِيبِين، وقد كانت من المواقع العسكرية المهمة وحصناً دفاعياً منيعاً؛ وذلك نتيجة لموقعها الجغرافي المهم حيث سيطرت على المناطق الواقعة على دجلة، والفرات وشكلت ممراً طبيعياً مُهِمَّاً للشمال، وطريقاً إلى الموصل عبر نَصِيبِين، واشتهرت ماردين بقلعتها التي تعد من أشهر القلاع في قمة جبلها وكان اسمها الشهباء والباز الأشهب[11] وليس على وجه الأرض أحسن منها ومن قلعتها، ولا أحكم ولا أعظم ولا أبدع ولا أتقن كما وصفها الرحالة.[12]

وقد بدأ عهد "بني أرتق" في ماردين منذ القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي, واستمر حكمهم لها حوالي ثلاثة قرون, حيث حكمها فرع من فروع الأسرة الأرتقية وهم أولاد نجم الدين إيلغازي الأول الأرتقي, وقد استقلوا بها منذ عام (502هـ/1108م), وكانوا هؤلاء الأمراء والملوك يمكثون في الحكم سنين طوال بعضهم ما بين الثلاثين سنة وأكثر خضعت ماردين لحكم الأراتقة لمدة تزيد عن ثلاثة قرون (811-502هـ/1108-1410م). حكموا ماردين بنظام الوراثة، واتخذوا ألقاباً تدرجوا فيها إلى مستويات (أمراء ثم ملوك ثم سلاطين)، ولايزال أهل ماردين يفتخرون بذلك التاريخ الحضاري الذي ترك الأراتقة بصمتهم فيه. حيث اتسمت الحياة في ماردين في العهد الأرتقي بالإزدهار والتقدم وانتعشت الحياة الاقتصادية.

تميزت ماردين في ظل الحكم الأرتقي بنشاط علمي وفكري كبير كان للأراتقة دورهم الفاعل فيه، من خلال بنائهم المؤسسات العلمية والفكرية والإنفاق عليها حتى تبوأت ماردين مكانة مميزة بين مدن العالم الإسلامي، فقد شهدت حركة واسعة في بناء العشرات من تلك المؤسسات كالمدارس والمساجد والربط والزوايا وخصصت لها الأموال اللازمة وجعلوا لها الأوقاف التي تمولها، ولايزال بنيان تلك المساجد والمدارس قائماً حتى اليوم وتفصيل ذلك ما يلي:

---

[9] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 5: 39. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق:علي محمد البجاوي، ط1. (بيروت: دار الجيل، 1992)، 3: 1219.

[10] للمزيد عن أقسام الجزيرة الفراتية انظر:

Yaşar Acat, "***Mhallemi Lehçesinde Kullanılan Atasözü ve Deyimlerin Siirt Arapçasında Kullanılan Atasözü ve Deyimlerle Mukayesesi***", (The Journal of Academic Social Science Studies, Sayı: 62, Kış, I, 2017), s.246.

[11] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 5: 39. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، ***رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار)***، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، ط1.(بيروت: دار إحياء العلوم، 1987)، 247. كي لسترنج، ***بلدان الخلافة الشرقية***، ترجمة: بشيرفرنسيس وكوركيس عواد، ط2.(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985)، 125-126.

[12] لسترنج، ***بلدان الخلافة الشرقية***، 125.

1 - الأمير معين الدين سقمان الأول بن أرتق(498-496هـ/1103-1105م)

كانت بداية عهد "بني أرتق" في ماردين منذ أن استولى عليها ياقوتي الأرتقي من صاحبها المغني الجاكسري, وظل ياقوتي الأرتقي حاكماً عليها تحت طاعة جكرمش حاكم الموصل حتى وفاته, ثم أخذها من بعده أخوه علي الأرتقي, وسار في طاعة جكرمش وكان يعطيه كل سنة عشرين ألف دينار؛ ثم استخلف على ماردين أميراً آخر يدعى علي, أرسل إلى عمه سقمان الأول الأرتقي يعلمه بأن " ابن أخيه علي الأرتقي يريد تسليم ماردين إلى جكرمش", فاتجه سقمان الأول الأرتقي على الفور إلى ماردين عام (496هـ/1102م), وتسلمها من نائبها الأمير علي وعوضه عنها بإقطاعه جبل جور, ثم جاء علي الأرتقي إلى جكرمش يطلب منه المال فقال له جكرمش " إنما أعطيتك المال احتراماً لماردين, والآن فافعل ما تريد", وبعد ذلك توفي سقمان الأول.[13]

وكان لسقمان مواقف في الجهاد ضد الصليبيين فمن هذه المواقف نذكر منها:

اشتراكه في حملة ملوك الشام والجزيرة لاستعادة مدينة أنطاكية. بعد أن ملك الفرنج مدينة أنطاكية سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، اجتمعت جيوش المسلمين بالشام والجزيرة وديار بكر بقيادة رضوان بن تُتُش السلجوقي صاحب حلب وأخيه دقاق، وطغتكين أتابك (صاحب) دمشق، وجناح الدولة صاحب حمص، وأرسلان شاه تاش صاحب سنجار، وسقمان بن أرتق صاحب ماردين وغيرهم. ونازلوا أنطاكية وضيقوا على الفرنج حتى أكلوا ورق الشجر، وكادوا يأخذون المدينة منهم، لولا خلاف الأمراء المسلمين، وتخوف بعضهم من ازدياد سلطان كربوغا صاحب الموصل - حيث كانت القيادة له - إن هم حققوا النصر، واستيحاش البعض الآخر وأنفته من ترفعه عليه، وبسبب المقدرة التي أظهرها مقدمو الفرنج أثناء الحصار. فكانت هزيمة المسلمين. ومطاردة الفرنج لجموعهم الهاربة من أرض المعركة.

وعلى الرغم من كل ما حصل يظهر أن العساكر المارديني التركمانية كانت قد أبلت وقائدها سقمان بن أرتق بلاء حسنا في المعارك التي دارت داخل أنطاكية وخارجها من دون الإلتفات إلى ما كانت عليه بقية الجيوش الإسلامية من خلافات. حتى ليذكر أن ما تحقق من انتصار أو مكاسب في بداية الحصار كان على يد العساكر المارديني « ولما ملك الفرنج أنطاكية سنة 491هـ، اجتمع الأمراء بالشام والجزيرة وديار بكر وحاصروها، وكان لسقمان المقام المحمود في ذلك».

وأيضاً حملته لاستعادة مدينة سروج: أخذ الفرنج بقيادة بلدوين الأول مدينة سروج الإسلامية بعد قتال. وجعل عليها قائداً عرف باسم (فولشر شارتر).[14]

وسكت المسلمون عن الفرنج مدة إلى أن كانت سنة 495هـ/1101م حين تهيأت العساكر التركمانية المارديني بقيادة سقمان لاستعادتها. وصادف ذلك مع بداية عهد بلدوين الثاني الذي هب لنجدة فولشر. وتفيد المعلومات أن حرباً استعرت بين الطرفين انتهت بهزيمة الفرنج ومصرع فولشر وفرار بلدوين إلى أنطاكية مستصرخاً. وسقطت سروج باستثناء القلعة التي بقيت بيد (بندكت) رئيس أساقفة اللاتين في الرُّها. لكن ذلك النصر لم يدم طويلاً فسرعان ما تجمعت لبلدوين الجيوش من أنطاكية حيث استأجر الجنود لتعويض خسائره. فراح بلدوين يقتل كل من تعاون مع الأراتقة من السكان، وامتلأت السجون، واضطر السجناء إلى افتداء أنفسهم مما زاده ثراءً بهذه الأموال الجديدة ثم فاجأ العساكر الأرتقية فانهزموا وخرجوا من المدينة.[15]

---

[13] أحمد، ***بنو أرتق دراسة تاريخية***، 47-48.

[14] شميساني، ***مدينة ماردين***، 145.

[15] ستيفن رانسيمان، ***تاريخ الحملات الصليبية***، ترجمة. نور الدين خليل، ط1 (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994)، 2: 68.

وأيضاً حملة سقمان لطرد الفرنج من نواحي الرقة ففي أول سنة 497هـ/1103م عاود الفرنج هجماتهم على ديار الجزيرة . فخرجوا من الرُّها وانقسموا إلى قسمين: قسم قصد حرَّان، وآخر قصد الرقة فالذي توجه إلى الرقة عمل على إحراج موقف سقمان والتعدي عليه. فاتفق والأمير سالم بن بدر العقيلي، وجمعا العساكر من التركمان والعرب من بني عقيل، واتجها لمقارعة الفرنج. فنزلا على منطقة رأس العين، وهناك التقيا بالفرنج فدار قتال شديد أسفر عن أسر الأمير العقيلي، ثم كانت الدائرة على الفرنج فانهزموا وقتل منهم خلق كثير.[16] ويبدو أن الفرنج لم يسكتوا على الهزيمة. ففي شهر تشرين الأول، هاجم بلدوين الثاني منطقة ماردين، وانتقم من أهلها، فدمر المزارع وأسر الرجال والنساء والأطفال، ونهب الأرزاق من محاصيل زراعية وماشية وأموال.[17]

وأيضاً حملته لطرد الصليبيين من حرَّان (معركة حرَّان): وأما القسم الذي توجه إلى حرَّان، فقد بدأت عناصره بغاراتها على هذه المدينة. وتنفيذاً للعهود والمواثيق المبرمة بين أمراء الجزيرة والسلطنة، قرر الأميران جكرمش صاحب الموصل، وسقمان صاحب ماردين أن يتناسيا ما كان بينهما من نزاع ، ويعملا معاً لدرء خطر الصليبيين عن الديار، وبالتالي القيام بغزو المعاقل التابعة لهم. وهكذا صار، فزحف الرجلان بجموعهما إلى مدينة الرُّها في صيف 497هـ/1104م. ونزلت تلك الجموع في رأس العين على مسافة تقرب من سبعين ميلاً من عاصمة الصليبيين الرُّها. ولما سمع بلدوين الثاني بتلك الحشود استعد، واستنجد بأمراء الصليبيين، جوسلين وبوهيمند وقيل أيضاً ريموند وتنكريد والبطريق برنار وديامبرت البطريق السابق للقدس، واقترح عليهم التحرك باتجاه حرَّان، ليحولوا الهجوم الإسلامي عن الرُّها، وهكذا، وبعد أن ترك بلدوين حامية صغيرة في الرُّها، اتخذ الطريق إلى حرَّان حيث وافته النجدات. وفي المنطقة القريبة من نهر البلّيخ، التقى وجها لوجه مع الزحف الإسلامي، وهناك دارت معركة تحطمت فيها أسطورة (إن الفرنج لا يقهرون). وانتصر سقمان وجكرمش، وغنمت العساكر المارديئية والموصلية الغنائم الكبيرة، ووقعت عساكر الفرنج بين قتلى وجرحى وأسرى، كما أسر بلدوين وجوسلين، وكانا من ضمن من أسر من طرف جيش سقمان وكان عدد قتلى الصليبيين يقدر بعشرة آلاف.[18] فكان نصراً حسناً للمسلمين لم يتهيأ لهم مثله من قبل وبه ضعفت نفوس الصليبيين وقلت عدتهم وقلت شوكتهم وقويت نفوس المسلمين وأرهفت عزائمهم في نصرة الدين كما كان هذا النصر حافزاً عظيماً لكي يواصل المسلمون حركة الجهاد والمقاومة ضد الصليبيين.[19]

ولم تنته فكرة الجهاد ضد الصليبيين عند سقمان بن أرتق، فقد ظهرت لديه هذه الفكرة مرة أخرى عندما استنجد به فخر الملك بن عمار أمير طرابلس ذلك أن الصليبيين أسقطوا الساحل الشامي وملكوه، واستعصت عليهم مدينة طرابلس. ورغم المقاومة التي بذلها صاحبها فخر الملك بن عماد الدين بن عمار، فإن المدينة أصبحت على أهبة السقوط للهجمات المتواصلة والشديدة والحشود الضخمة التي سخّرها الفرنج في الضغط على المدينة. فساءت أحوال المدينة وارتفعت أسعار الطعام ارتفاعاً فاحشاً، وفشلت جهود فخر الملك بن عمار من تخفيف حدة هذه الأزمة. وقد كان ابن عمار لايستطيع طلب المعونة من طغتكين أتابك دمشق وحمص، بسبب ما وقع بينهما من خلاف وأيضاً لم يطلب المدد من الفاطميين الذين كانوا

---

[16] يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري، ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*** (مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، د.ت)، 5: 178-179.

[17] شميساني، ***مدينة ماردين***، 146.

[18] رانسيمان، ***تاريخ الحملات الصليبية***، 2: 72-73. ابن تغري بردي، ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة***، 5: 188. نبيلة عبدالفتاح كامل أبوزيد، ***مدينة ماردين ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي حتى وفاة صلاح الدين الأيوبي***، رسالة ماجستير غير منشورة، (بنها: جامعة الزقازيق، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1998)، 51-52.

[19] حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، المعروف بابن القلانسي، ***تاريخ دمشق***، المحقق. سهيل زكار. ط1 (دمشق: دار حسان للطباعة والنشر، 1983)، 232.

يرغبون في انتزاع طرابلس لأنفسهم من بني عمار، وأدرك فخر الملك أن الأسلم له أن يلتمس الحلفاء من جهات بعيدة، لذا تطلع إلى من أشدهم بأساً ونكاية في حرب الصليبيين، إلى سقمان صاحب ماردين، فاستصرخه، فهب لنجدته ولم يتوان عن المساعدة وجمع عساكره من أبناء ماردين وتوجه نحو طرابلس، وفي الطريق مرض مرضاً شديداً فنصحه أصحابه بالعودة فامتنع وقال بل أسير فإن عوفيت تممت ما عزمت عليه ولايراني الله تثاقلت عن قتال الكفار خوفاً من الموت وإن أدركني أجلي كنت شهيداً سائراً في جهاد فسارو به ولكن القدر كان بانتظاره فلم يبلغ منتصف الطريق حتى وافته المنية وحرم ابن عمار من مساعدته ونخوته وكان ذلك في نهاية سنة 498هـ/1105م.[20]

هذا ولم تصرف مشاكل سقمان وحروبه مع أمراء النواحي والصليبيين اهتمامه بأمور البلاد وأهلها. ووصف بأنه كان شديداً في تطبيق العدالة والقانون. حسن السياسة والتدبير، مهاباً، محترماً، مطاعاً ولهذا قضى على دابر الأشقياء وقطاع الطرق، فازدهرت مرافق الحياة المارديئية في أيامه من زراعة وصناعة وتجارة وخدمات. وازدادت قوة الجيش المارديني وعساكر دياربكر في أيامه عدداً وعدة، واتسع نطاق العمارة وعاش الناس على جانب كبير من البحبوحة واليسر.[21]

2 - نجم الدين إيلغازي بن أرتق (516-502هـ/1108-1122م)

انتقل حكم ماردين بعد ذلك إلى الملك نجم الدين إيلغازي ابن الأمير أرتق بن أكسك التركماني، بعدما انتقل من بغداد إلى ماردين فأصبح صاحب ماردين وديار بكر وحلب، كان هو وأخوه الأمير سقمان من أمراء تاج الدولة تُتُش صاحب الشام، فأقطعهما القدس، وجرت لهما أحداث فخرجا من القدس. وكان ذا شجاعة، ورأي، وهيبة وصيت، حارب الفرنج غير مرة، حينما سارت الفرنج إلى مدينة حلب فدخلوها عنوة وملكوها وقتلوا من أهلها خلقاً، فسار إليهم نجم الدين إيلغازي بن أرتق في جيش كثيف فهزمهم عنها، ولحقهم إلى جبل قد تحصنوا فيه، فقتل منهم هنالك مقتلة عظيمة، ولم يفلت منهم إلا اليسير، وأسر من مقدمهم نيفاً وسبعين رجلاً، وقتل فيمن قتل (سرخال) صاحب أنطاكية وحمل رأسه إلى بغداد وأخذ نجم الدين إيلغازي حلب بعد أولاد رضوان بن تُتُش.[22]

واستولى على مَيَّافَارِقِين وغيرها قبل موته بسنة، ثم سار منجداً لأهل تفليس هو وزوج بنته ملك العرب دُبَيْس الأسدي، وانضم إليهما طغان صاحب أرزن، وطغريل أخو السلطان محمود السلجوقي، وساروا على غير تعبئة، فخرج إليهم داود طاغية الكرج، ولم يستطيعوا هزمه فعاد إيلغازي إلى ماردين لتسوية الأوضاع داخل المملكة فرتب ونظم وعزل وزاد في العمارة. وشجع على زيادة الإنتاج في كافة المجالات. وأحس الناس في أيامه بالأمن والاستقرار والإزدهار.

هذه الأحوال كانت نتيجة الجهد الذي قدمه إيلغازي في قيادة البلاد والسهر على حمايتها وكان كثير التنقل والتجوال في مدن مملكته زائراً متفقداً سائلاً عاملاً على إصلاح الرعية واسعاد حياتها. وبهذا الجهد والعطاء استطاع أن يستخلص لنفسه من بلاد الجزيرة تلك الديار والمساحة الواسعة وينشئ فيها إمارة أو مملكة اشتهرت في التاريخ بالأرتقية الإيلغازية. وكان لها

---

[20] ابن الأثير الجزري، ***الكامل في التاريخ***، 8: 509، ابن القلانسي، ***تاريخ دمشق***، 237.

[21] شميساني، ***مدينة ماردين***، 148-149.

[22] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ***سير أعلام النبلاء***، المحقق. مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985)، 19: 436-435. مصطفى بن عبدالله المعروف بحاجي خليفة، ***سلم الوصول إلى طبقات الفحول***، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط (إسطنبول: مكتبة إرسيكا، 2010)، 1: 258. ابن تغري بردي، ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة***، 5: 223. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ***البداية والنهاية***، تحقيق. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1 (مصر: دار هجر للطباعة والنشر، 1997)، 16: 240.

شأن في تاريخ الدولة الإسلامية بوجه عام وإقليم الجزيرة بوجه خاص. وقُدِّر لتلك المملكة أن تعيش أكثر من ثلاثمائة سنة (502-811هـ/1108-1410م).[23]

ويحدثنا ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة عن نجم الدين إيلغازي وجهاده ضد الصليبيين فيقول في أحداث سنة 503هـ:

فيها كاتب السلطان محمد شاه السلجوقي الأمير سقمان بن أرتق صاحب أرمينية وأخلاط ومَيَّافَارِقِين، والأمير شرف الدّين مودود صاحب الموصل، ونجم الدين إيلغازي صاحب ماردين بالاجتماع على جهاد الفرنج؛ فاجتمعوا وبدءوا بالرُّها.

وبلغ الفرنج، فاجتمع طنكري صاحب أنطاكية، وابن صنجيل صاحب طرابلس، وبلدوين صاحب القدس، وتحالفوا هم أيضاً على قتال المسلمين، وساروا؛ فكانت وقعة عظيمة نصر الله المسلمين فيها وغنموا منهم شيئا كثيراً.[24]

وكان لإيلغازي مواقف كثيرة في حروبه ضد الصليبيين في سنوات 508هـ و 509هـ و511هـ وأهم معاركه ضد الصليبيين كانت في سنة 513هـ/1119م والتي جرى فيها قتال عنيف سميت المعركة (ساحة الدم) لكثرة ماسفك فيها من الدماء وسنذكر قصة هذه المعركة كما رواها ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ في أحداث سنة 513ه فيقول:

في هذه السنة سار الفرنج من بلادهم إلى نواحي حلب، فملكوا بزّاعة وغيرها، وخربوا بلد حلب ونازلوها، ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهراً واحداً، وخافهم أهلها خوفاً شديداً، ولو مكنوا من القتال لم يبق بها أحد، لكنهم منعوا من ذلك، وطالب الفرنج أهل حلب على أن يقاسموهم على أملاكهم التي بباب حلب. فأرسل أهل البلد إلى بغداد يستغيثون، ويطلبون النجدة، فلم يغاثوا.

وكان الأمير نجم الدين إيلغازي، صاحب حلب، ببلد ماردين يجمع العساكر والمتطوعة للغزاة، فاجتمع عليه نحو عشرين ألفاً، وكان معه أسامة بن المبارك بن شبل الكلابي، والأمير طغان أرسلان بن المكر، صاحب بدليس وأرزن، وسار بهم إلى الشام، عازماً على قتال الفرنج.

فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم، وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل، ساروا فنزلوا قريباً من الأثارب، بموضع يقال له تل عفرين، بين جبال ليس لها طريق إلا من ثلاث جهات، وفي هذا الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش.

وظن الفرنج أن أحداً لا يسلك إليهم لضيق الطريق، فأخلدوا إلى المطاولة وكانت عادة لهم، إذا رأوا قوة من المسلمين، وراسلوا إيلغازي يقولون له: لا تتعب نفسك بالمسير إلينا، فنحن واصلون إليك، فأعلم أصحابه بما قالوه، واستشارهم فيما يفعل، فأشاروا بالركوب من وقته، وقصدهم ففعل ذلك، وسار إليهم، ودخل الناس من الطرق الثلاثة، ولم تعتقد الفرنج أن أحداً يقدم عليهم، لصعوبة المسلك إليهم، فلم يشعروا إلا وأوائل المسلمين قد غشيتهم، فحمل الفرنج حملة منكرة، فولوا منهزمين، فلقوا باقي العسكر متتابعة، فعادوا معهم، وجرى بينهم حرب شديدة، وأحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم، وأخذهم السيف من سائر نواحيهم، فلم يفلت منهم غير نفر يسير، وقتل الجميع، وأسروا.

وكان في جملة الأسرى نيف وسبعون فارساً من مقدميهم، وحملوا إلى حلب، فبذلوا في نفوسهم ثلاثمائة ألف دينار، فلم يقبل منهم، وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة. وأما سيرجال، صاحب أنطاكية، فإنه قتل وحمل رأسه، وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الأول 513هـ.[25]

---

[23] شميساني، ***مدينة ماردين***، 150-151.

[24] ابن تغري بردي، ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة***، 5: 199.

[25] علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، تحقيق.عمر عبدالسلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، 1997)، 8: 643-642.

وفي هذه الأثناء كان المسلمون بحلب التي تبعد نحو خمسة عشر ميلاً عن أرض المعركة يتلهفون على سماع الأخبار، فوصلتهم حوالي الظهر، وعند صلاة العصر بدأت طلائع الجيش الإسلامي تقترب من المدينة. أما ايلغازي، فبعد أن وزع الغنائم على العساكر، سار إلى سرمدا حيث استسلم له رينالد مازوار فأبقى على حياته، بينما أمر بقتل رفاقه. كما جرى تكبيل الأسرى بالأغلال وجرهم خلف المنتصرين باتجاه حلب. وبينما كان إيلغازي يصل إلى حلب ويحتفل بنصره وصلت أنطاكية أخبار الهزيمة. فتولى القيادة فيها البطريرك برنارد وراح ينظم الجند. ومن حلب أخذ ايلغازي يكاتب الملوك في العالم الإسلامي بما حازه والعسكر المارديني من نصر. فبعث إليه الخليفة بالخلع والتشاريف، وأنعم عليه آنذاك بلقب نجم الدين.[26]

ثم تجمع من سَلِمَ من المعركة مع غيرهم، فلقيهم إيلغازي أيضاً، فهزمهم، وفتح منهم حصن الأثارب، وزردنا، وعاد إلى حلب، وقرر أمرها، وأصلح حالها، ثم عبر الفرات إلى ماردين.

وانتهت حملة إيلغازي الكبرى بعد أن حققت للمسلمين عامة انتصاراً معنوياً ضخماً، وللماردينيين وحلفائهم مكاسب مادية تجلت فيما حصلوا عليه من غنائم وما آل إليهم من حصون وضياع إلى جانب التخلص من شبح الخوف الذي كان يساورهم من مبدأ القول بقوة الفرنج التي لاتهزم. وتقديراً لجهود إيلغازي ومواقفه، عظّمه المسلمون آنذاك، وأكثروا من الدعاء له، وتأملوا الخلاص مما يعانوه على يديه، واعترف بفضله القادة والأمراء، وامتحه الشعراء فمما مدح به إيلغازي في هذه الوقعة قول الشاعر العظيمي:

قل ما تشاء فقولك المقبول ... وعليك بعد الخالق التعويل

واستبشر القرآن حين نصرته ... وبكى لفقد رجاله الإنجيل[27]

وكانت وفاة إيلغازي في رمضان، بمَيَّافَارِقِين، سنة (516هـ/1222م)، واستمرت ماردين في يد ذريته، فأخذ مَيَّافَارِقِين ابنه شمس الدولة سليمان، وتولى ابنه حسام الدين تيمورتاش مدينة ماردين، وتولى على حلب ابن أخيه الأمير سليمان بن عبد الجبار بن أرتق، إلى أن أخذها منه ابن عمه بلك بن بهرام.

وقال سبط ابن الجوزي: توفي إيلغازي سنة 515هـ، وكان تحته بنت صاحب دمشق طغتكين، وتزوج ابنه سليمان ببنت صاحب الروم، فمات سنة 518هـ، فتسلم حسام الدين تيمورتاش مَيَّافَارِقِين.[28]

3 - حسام الدين تيمُورتاش بن إيلغازي (547-516هـ/1122-1152م)

تولى حسام الدين تيمورتاش ماردين ومَيَّافَارِقِين منذ العام (516هـ/1122م) بعد وفاة والده نجم الدين إيلغازي وولي الملك بعد والده.[29] ففي عصر حسام الدين خرجت حلب من حكمه قيل لضعف حمايتها من اعتداءات الفرنج. وأن أهلها استصرخوا صاحب الموصل الأمير آق سنقر البرسقي الذي أصبح الرجل الأقوى في الجزيرة في قتال الفرنج بعد وفاة نجم الدين إيلغازي. فاستجاب البرسقي لأهل حلب وأبعد الفرنج عن حلب وتقديراً لجهوده رغب الحلبيون أن يكافئوه فأحسنوا إليه وملكوه البلد بعد أن خلعوا طاعة حسام الدين تيمورتاش. وبذلك تقلصت حدود المملكة المارديني لتصبح في حدود ماردين ومَيَّافَارِقِين ونصيبين وماحول هذه المدن من قرى.[30]

---

[26] رانسيمان، ***تاريخ الحملات الصليبية***، 2: 183.

[27] شميساني، ***مدينة ماردين***، 165-166.

[28] الذهبي، ***سير أعلام النبلاء***، 19: 435-436. حاجي خليفة، ***سلم الوصول إلى طبقات الفحول***، 1: 258. ابن تغري بردي، ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة***، 5: 223. ابن كثير، ***البداية والنهاية***، 16: 240.

[29] الذهبي، ***تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام***، 11: 903.

[30] شميساني، ***مدينة ماردين***، 167-168.

ورغم الهموم التي واجهت حسام الدين في داخل الجزيرة وخارجها، فلقد كانت أيامه في تلك البلاد أيام زاهرة زاهية. فحسام الدين كان عادلاً، و ذكياً محباً لأهل العلم والأدب مميزاً عن أمثاله بالفضيلة، ورؤوفاً حليماً. لا يرى الحبس ولا القتل. ومن كانت له هذه الصفات، فليس بالكثير على الرعية أن تضحي وتتفانى في سبيله، وتنقاد لأوامره، وتجهر بمحبتها وولائها له. وليس أدل على تلك المحبة وذاك الولاء، ماظهر في نصوص الأدباء وقصائد الشعراء لذلك العصر.[31]

كانت مدته أكثر من ثلاثين سنة، وولّي بعده ابنه نجم الدين ألبي،[32] ويعتبر عهده من أزهى عصور ماردين حيث سمي عصره بالعصر الذهبي إذ أطاعه الخاص والعام إلى أن توفي سنة (547هـ/1152م) ودفن في مدرسته(الحسامية) في ماردين.[33]

وكان لحسام الدين تيمورتاش دور في مقاومة الصليبيين فنرى ذلك من خلال تعاونه مع نورالدين محمود صاحب دمشق وكان هناك تقارب بينهما فلقد اشترك حسام الدين مع نورالدين محمود في شن هجوم على بعض الحاميات البيزنطية والصليبية الموجودة في المنطقة مما ترتب عليه سقوط عين تاب ودلوك في يد السلطان مسعود بينما استولى تيمورتاش على سميساط والبيرة ووقعت روندان في أيدي نورالدين محمود.

وقد أشار ابن القلانسي في كتابه تاريخ دمشق إلى قيام التركمان (يقصد عسكر ماردين) بمحاولة للسيطرة على بانياس قبل قيامهم بمحاولة السيطرة على بيت المقدس ولكن محاولتهم بائت بالفشل بعد أن كبدوا الصليبيين خسائر فادحة وقتلوا منهم وأسروا عدداً كبيراً، ولم يفلت منهم غير الحاكم مع عدد قليل.[34]

والواقع أن حسام الدين تيمورتاش أمير ماردين لم يكتف بالهجوم الذي شنه على بعض الحاميات الصليبية سنة 546هـ/1151م إنما قام بمفرده بهجوم مفاجئ على بيت المقدس لتحريره من الصليبيين مستغلاً النزاع الذي جرى بين الملك بلدوين الثاني وابنته الكبرى ميلسند واعْتَقَدَ أن ضربةً جريئةً قد تصيب إذا شدد هجومه عليها وطلب المساعدة من (مجير الدين أباق) حاكم دمشق وكان قد وافق على مد يد العون وفي نفس الوقت نصحه بعدم المضي في سيره. وعندئذ أندفع تيمورتاش عبر الأردن وأقام معسكره على جبل الزيتون، بينما كان بارونات الفرنج يشهدون مجلساً في نابلس غير أن حامية بيت المقدس شنت هجوماً مفاجئاً على جيش ماردين، الذي انسحب إلى الأردن بعد أن تبين لهم فشل هجومهم المباغت وعلى هذا النهر انقض عليهم جيش مملكة بيت المقدس واضر جيش ماردين للانسحاب.[35]

ويروي المؤرخ الصليبي وليم الصوري الذي عايش تلك الفترة هذه المعركة في كتابه تاريخ الحروب الصليبية سنذكرها كما أوردها:

قام جماعة من الولاة الأتراك الأقوياء المعروفين بالأراتقة، والذين ينزلهم قومهم منزلة التعظيم، فجمعوا حشداً كثيفاً من بني جلدتهم قاصدين الخروج للإستيلاء على القدس التي يعتبرون أنفسهم ورثتها الشرعيين، إذ يقال أن المدينة الطاهرة كانت ملكهم وملك أسلافهم قبل أن يستخلصها الصليبيون لأنفسهم، وكانت أمهم شديدة التحمس لهذا الموضوع، وقد لامت أولادها إذ سمحوا لأنفسهم بأن يظلوا منفيين زمناً طويلاً عن أملاكهم التي ورثوها بعيدين عنها(يقصد أن القدس كانت تحت حكم أرتق بن أكسك جد الأراتقة).

وزحف الجيش على رأس طائفة كبيرة من الفرسان وقد أجمعوا العزم على تحقيق هدفهم بإذن ربهم، فلما بلغوا دمشق أقاموا بها قليلاً حتى يأخذ عسكرهم قسطاً من الراحة ويستعيدوا نشاطهم، وقد حاول أهل تلك المدينة صرفهم عن

---

[31] شميساني, ***تاريخ ماردين***, 176.

[32] الذهبي، ***تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام***، 11: 903.

[33] أحمد، ***بنو أرتق دراسة تاريخية***، 49.

[34] ابن القلانسي، ***تاريخ دمشق***، 491.

[35] أبوزيد، ***مدينة ماردين ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي حتى وفاة صلاح الدين الأيوبي***، 127-128.

مشروعهم فلم يفلحوا ورفضوا الاستماع إليهم، وأعادوا تزويد أنفسهم بالميرة والطعام والعتاد ورتبوا أمتعتهم وتابعوا زحفهم إلى القدس وهم مؤمنون بأنهم الغالبون، واجتازوا بكتائبهم الطويلة الأردن، وصعدوا في الإقليم الجبلي الذي تقع به المدينة المقدسة، ثم جاءوا إلى جبل الزيتون المشرف على القدس والمتاخم لها، وهنا أتيح لهم أن يروا منظراً فريداً طالعوا فيه الأماكن الطاهرة، لاسيما الهيكل(يقصد المسجد الأقصى) الذي يُوَقِّرُونَهُ توقيراً عظيماً، وكانت العين تشاهد من هذا الموضع المدينة بأكملها.

وكانت معظم قوات القدس قد نهضت إلى مدينة نابلس مخافة أن يهاجمها العدو نظراً لأنها كانت خالية من التحصينات، فلما رأى من ظلوا بالقدس أن جيش الترك شارع في التقدم جزعوا أن يبادر بالإغارة عليهم، فهبوا سراعاً إلى سلاحهم وطلبوا العون من السماء، وزحفوا زحف المتحمسين لصد العدو وقتاله.

كان الطريق الواصل من القدس إلى أريحا ثم إلى الأردن وعراً كل الوعورة، خطراً كل الخطر، ذلك أن المواضع الكثيرة الشديدة الانحدار تجعل الصعود والنزول أمراً بالغ الشدة والمشقة.

وحدث أن هجم الصليبيون على العدو حين دخول هذه الطريق فاضطروا للانسحاب وما لبثت سيوف الصليبيين أن تلقفتهم وأثخنتهم جراحاً مميتة، كما أن جيادهم التي أنهكها طول السير لم تعد تتحمل السير في الشعاب الوعرة، فحرنت ورفضت أن تنقاد لراكبيها حتى اضطر الترك للترجل عنها وصاروا عسكراً مشاة قد ناءت أكتافهم بما يحملون من الأسلحة.[36]

من خلال هذه الرواية نرى أن حسام الدين تيمورتاش لم يتوانى ولم يتخلف عن محاولته لتحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين ويكفيه شرف المحاولة وقد سقط المئات من جنوده من أبناء ماردين شهداء لتحرير بيت المقدس الذين وقفوا على جبل الزيتون ومتعوا عيونهم ببيت المقدس.

4 - نجم الدين ألبي بن تِيمورتاش (572-547هـ/1152-1176م)

تولى الأمير نجم الدين ألبي بن تيمورتاش حكم مدينة ماردين 548هـ/1152م بعد وفاة والده حسام الدين تيمورتاش، وقام بالدعوة له حاجبه سعد الدولة التوباشي حيث سار إلى مَيَّافَارِقِين, ودخل المدينة ثم دخل القصر وجمع أكابر المدينة والأمراء والأعيان أهل المدينة, وأعلمهم بوفاة حسام الدين تيمورتاش وتولية ابنه نجم الدين ألبي, وعندما علم الناس بذلك اطمأنوا ولم يختلف عليه أحد.[37]

وعاش الناس أهل ماردين ومَيَّافَارِقِين خلال ولايته في مظاهر من العدل والإحسان والاستقرار، كما حصلوا على أتم المصلحة، وكف عنهم الأيدي المتطاولة ولم يُرى ملك أَعَفَّ منه، ويمكن اعتبار عصر أبي المظفر نجم الدين البي بن تيمورتاش في بلاد ماردين وديار بكر والجزيرة، استمرار لعصر والده من حيث أن الظروف المحلية والسياسة الدولية، ظلت على ما هي عليه دون تغيير أو تبديل. ومَرَدُّ ذلك إلى النهج الذي اتبعه ألبي في سياسة الداخل والتعامل مع الخارج. ففي هذا الداخل اقتفى أثر والده في تعامله مع الرعية. فاهتم بالمؤسسات والخدمات العامة، راعى الحقوق، وشجع الإنتاج، وضبط الأمن، ورتب العمال. ولم يكن ليتسنى له ذلك لولا الاستمرار في سياسة التفاهم مع الخارج، مع أمراء النواحي ليأمن - كما فعل والده - شرورهم، وليحفظ حدوده من تعدياتهم. ولكي يحفظها أيضاً من تعديات الآخرين من الغرباء المسلمين وغير

---

[36] وليم الصوري، ***الحروب الصليبية***، ترجمة. حسن حبشي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994)، 3: 347-346.

[37] عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد الأصفهاني، ***البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان***، المحقق. عمر عبد السلام تدمري. ط1 (بيروت: المكتبة العصرية، 2001)، 411. أحمد، **بنو أرتق دراسة تاريخية**، 50.

المسلمين من الفرنج، مد يده إليهم وشاركهم بجنده وبماله. ولهذا سنراه يشارك أصحاب الموصل وحلب في ردع الطامعين والحاقدين والدخلاء على أرض الجزيرة.[38]

ولم يتوان نجم الدين ألبي عن مشاركة الجيوش الاسلامية في ردع الفرنج وقتالهم، وله في ذلك مواقف كثيرة. منها على سبيل المثال تلك التي تمت في سنة 559هـ/1163. حين دعا نور الدين محمود زنكي ملوك الأطراف للمشاركة في أخذ الثأر من الفرنج بعد الهزيمة التي مني بها عند البقيعة تحت حصن الأكراد ومن بين الذين راسلهم كان نجم الدين ألبي صاحب ماردين، وفخر الدين قرا أرسلان بن داود بن سقمان صاحب حصن كيفا، وصاحب الموصل قطب الدين مودود أخو نور الدين محمود. يقول ابن الأثير أن نجم الدين ألبي وافق وبعث بالعساكر بينما تلكأ فخر الدين ثم عاد وتوجه. وكذلك سيَّر أخوه قطب الدين العساكر مع نائبه زين الدين علي بن بكتكين. واشتبكت العساكر الإسلامية مع الفرنج وتعددت حملات الكر والفر التي أظهر فيها الماردينيون من الشجاعة فصولاً رائعة حتى أدركوا النصر، وانتهت المعارك بأسر قادة الفرنج ومنهم البرانس بويموند صاحب أنطاكية، و(القمص) صاحب طرابلس. والدوق مقدم الروم وابن جوسلين. ومقتل مايقارب العشرة آلأف من الصليبيين. ثم تفرقت العساكر محملة بالأسرى والمغانم.[39]

وعلى العموم فإنه مهما تعددت الحوادث وعبست الأيام وأثقلت أحمالها، فإنها لم تغير من السمة الحسنة التي امتاز بها عصر نجم الدين ألبي في ماردين. وبقي ألبي ملكاً مجلاً مستقلاً في إداراته ومؤسساته. وبقيت المدينة ماردين عاصمة حرة لا تدانيها مدينة في الجزيرة، من حيث العظمة والجلال. وهذا الجلال وتلك العظمة بل وذلك الاستقلال كان كله قد ترجمته قطع المسكوكات التي ضربت فيها أيام البي وهي تحمل اسمه وألقابه بل ورسومه ورسوم زوجته المكللة بالأكاليل والتيجان الملكية والخالية من أي تأثير أو نفوذ خارجي. ولمس الماردينيون بل والميافارقيون من ألبي مظاهر العدل والإحسان والرأفة والمحبة. واستمر النجم في ملكه إلى غروب سنة 572هـ/1176م. وقيل إلى سنة 575هـ/1180م حين فارق الحياة ليؤول أمر المملكة إلى ولده قطب الدين إيلغازي.[40]

5 - قطب الدين إيلغازي بن ألبي بن تيمورتاش (580-572هـ/1176-1184م)

تولى قطب الدين إيلغازي حكم ماردين. وقد ولّيها مدةً طويلة بعد أَبِيهِ. وكان موصوفاً بالشجاعة والعدل. ولم يطرأ على ماردين أي تطور خلال عهده بل سارت على ما يرام، وخلّف ولدين صغيرين هما حسام الدين يولق و ناصر الدين أرتق، فآل الأمر لحسام الدين، وكان صغيراً فقام بتدبيره ورعايته مملوكه نظام الدين أَلْبُقش. فامتدت أيامه إلى أن قُتل ألبقش واستقل بالأمر.[41] وقد ذكره عزالدين ابن الأثير في تاريخه فقال: كان قطب الدين إيلغازي حاكماً على ماردين ونواحيها وكان في طاعة نور الدين محمود بن زنكي، فلما توفي نور الدين استبد بالبلاد وحمى ذلك البلد من أكف المتغلبين وكانت ماردين في أيامه حرماً آمناً، يرد إليه الأفاضل والعلماء والصدور والأمراء وله هِمَّةٌ عالية، ويحب العلماء والغرباء، رحيم القلب، ويحب المدح. وللقاضي علم الدين عبد الرحمن بن أحمد التكريتي في مدحه قصيدة أولها:

---

[38] شميساني, ***تاريخ ماردين***, 178.

[39] شميساني, ***تاريخ ماردين***, 181.

[40] شميساني, ***تاريخ ماردين***, 183.

[41] الذهبي، ***تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام***، 12: 637. شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله سبط الجوزي، ***مرآة الزمان في تواريخ الأعيان***، تحقيق. مجموعة من المحققين. ط1 (دمشق: دار الرسالة العالمية، 2013)، 21: 301. عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، ***شذرات الذهب في أخبار من ذهب***، المحقق. محمود الأرناؤوط. ط1 (بيروت: دار ابن كثير، 1986)، 6: 440. ابن تغري بردي، ***النجوم الزاهرة في ملوك***، 6: 97. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، **المختصر في أخبار البشر**، ط1 (مصر: المطبعة الحسينية المصرية، 1907)، 3: 68.

حيّيت يا رياض ماردين ... بطلعة المالك قطب الدين.[42]

6 - حسام الدين يولق أرسلان (597-580هـ/1184-1200م)

تولى حسام الدين يولق أرسلان حكم ماردين منذ عام 580هـ/1184م بعد وفاة والده وقد كان يولق أرسلان طفلاً صغيراً لايتعدى عشر سنوات، وقام بتربيته ورعايته مملوك أبيه نظام الدين البقش وكان يتصف بالتدين والخير والعدل وحسن السيرة،[43] فأحسن تربية يولق أرسلان وتزوج بوالدته، وقام بإدارة شؤون ماردين ولم يكن لحسام الدين يولق أرسلان من شؤون الحكم إلا الاسم والخطبة والدعاء له على منابر المساجد.[44] وكان يولق أرسلان به هوج وخبط، فمات يولق أرسلان وأقام البقش بعده أخاه الأصغر ناصر الدين أرتق أرسلان بن قطب الدين إيلغازي، ولم يكن له حكم، بل الحكم إلى البقش وإلى مملوك للبقش اسمه لؤلؤ.[45]

7 - المنصور ناصر الدين أرتق أرسلان بن قطب الدين إيلغازي (636-597هـ/1200-1239م)

ولِّي ماردين بعد أخيه حسام الدين يولق أرسلان بن إيلغازي وهو دون البلوغ. وكان مربيه مملوك أخيه لؤلؤ وزوج أُمِّه البقش، فلما تَمَكَّنَ قَتَلَهُما سنة 600ه واستقامَ أمره. وكانَ عادلاً، حسن السيرة، يصومُ الإثنين والخميس. استمر حكمه مايزيد على الثلاثين عاماً قَتَله مماليكهُ بمواطأةٍ من حفيده وكان شديد المحبة لحفيده إلا أنَّه كان قد أبعد ابنه نجم الدين إيلغازي الثاني بحيث إنه حلق رأسه وتَفَقَّر، فغضب أَبُوه عَلَيْهِ وحَبَسَهُ. فلمّا قتل ناصر الدين أرتق أرسلان، أُخْرِج من السجن. ذكر ذَلِكَ ابْن الْجَوْزيّ وغيره. وكان قتله فِي وسط ذي الحجّة، فلمّا تمكن الملك السعيد نجم الدين إيلغازي الثاني قبض على ولده القاتل لجده وحبسه إلى أن مات.[46]

كان عصر ناصر الدين أرتق أرسلان عصر ازدهار في العديد من قطاعات المملكة اقتصادية كانت أم اجتماعية. وتمثل ذلك باليسر المالي للرعية والنمو السكاني والعمراني للمدينة، وظهرت آثار ذلك في قيام العديد من مجموعات العمائر والقصور العامة والخاصة. وكذلك في المؤسسات والمعاهد العلمية والدينية ليس في مدينة ماردين وحدها وإنما في كافة أجزاء الإمارة الأرتقية وأعمالها[47]، ومرد ذلك كله إلى الجهد الذي كان يقدمه الناصر وحاشيته في سبيل إعمار البلاد وإسعاد العباد. ولا شك في أن الناصر ظل وطوال سنين ملكه يدين بالطاعة للشرعية الإسلامية المتمثلة بخلافة بغداد. وأن تلك الطاعة تمثلت أكثر ما تمثلت في الانصياع لأوامر الخليفة التي لا ترد. وهذا الانصياع تكرس في الإعلان الذي ضرب على المسكوكات والذي حمل اسم الخليفة الناصر لدين الله أمير المؤمنين جنبا إلى جنب مع اسم ناصر الدين من جهة وأسماء سلاطين بني أيوب أصحاب السيادة والنفوذ من جهة ثانية.

8 - السعيد نجم الدين إيلغازي بن ناصر الدين أرتق أرسلان(658-636هـ/1239-1260م)

---

[42] كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد ابن الفوطي الشيباني، ***مجمع الآداب في معجم الألقاب***، المحقق. محمد الكاظم. ط1 (إيران: مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، 1996)، 3: 363.

[43] أبو الفداء، ***المختصر في أخبار البشر***، 3: 68.

[44] أحمد، ***بنو أرتق دراسة تاريخية***، 52.

[45] أبو الفداء، ***المختصر في أخبار البشر***، 3: 68.

[46] صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ***الوافي بالوفيات***، المحقق. أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (بيروت: دار إحياء التراث، د.ت)، 8: 219. الذهبي، ***تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام***، 14: 876. محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، ***مفرج الكروب في أخبار بني أيوب***، تحقيق. مجموعة من المحققين (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية - المطبعة الأميرية، د.ت)، 5: 217.

[47] اسحق أرملة، ***القصارى في نكبات النصارى***، ط1 (د.ن: 1919)، 11.

تولى الملك السعيد نجم الدين إيلغازي حكم ماردين عام(636هـ/1239م) بعد وفاة والده حيث كان في السجن فأخرج من السجن وبايعوه على الحكم وأطاعوه ولم يعص عليه أحد منهم، وفي عهده تقلصت حدود ماردين حتى اقتصرت على مدينة ماردين فقط، وسارت أحوالها من سيء إلى أسوأ وبقي تسعة عشر عاماً في الحكم مات في حصار المغول لماردين والوباء الذي حلَّ بقلعة ماردين، وبقي السعيد، تسعة أشهر محاصراً ولم يِلنْ جانبُه لهم وقال: لو أقمت حَتَّى لا يبقى معي أحدٌ ما نزلت إليهم ولو دخلوا عليّ لَعَجَّلتُ بإهلاك نفسي، ثُمَّ مات فِي الحصار، لقد كان ملكاً جليلاً كبير القدر وكان حازماً بطلاً، شجاعاً عالي الهمّة، جوَّاداً، مُمَدَّحاً. ملك مدة ديار بكر. وملك ماردين بعده ابنه الملك المظفر قره أرسلان.[48]

9 - المظفر قره أرسلان بن إيلغازي (691-658هـ/1260-1292م)

صاحب ماردين وابن ملوكها، وبقي هذا في المُلك ثلاثًا وثلاثين سنة ووُلّي بعده ابنه الملك شمس الدين داود، ثُمَّ ابنه الآخر الملك المنصور نجم الدِّين إيلغازي، فذكر الأمير شمس الدِّين ابن التّيتيّ وكان قد وزر للمظفّر وبعثه رسولاً إلى صاحب مصر السّلطان الملك المنصور فاعتقله، قال: تملّك المظفَّر بعد أبيه وحاصره المغول، يعني السعيد، تسعة أشهر ولم يِلنْ جانِبُه لهم وقال: لو أقمت حَتَّى لا يبقى معي أحدٌ ما نزلت إليهم ولو دخلوا عليّ لَعَجَّلتُ بإهلاك نفسي، ثم مات فِي الحصار، فنزل ابنه المظفر إليهم وذكر خدماته المتقدِّمة وأنَّ أَبَاهُ هو الذي كان يمنعه من الدخول في طاعتهم، فقبلوا ذلك منه، وأقرَّه هولاكو على مملكة بلده.[49] وتدهورت ماردين في عهده بسبب الضغوط الخارجية عليها، بينما حاول المظفر المحافظة عليها لما تمتع به من نباهة وذكاء وتوفي عام (691هـ/1292م).[50]

10 - شمس الدين داود بن قره أرسلان (693-691هـ/1292-1294م)

تولى شمس الدين داود الأول حكم ماردين عام (691ه/1292م) بعد وفاة والده قره أرسلان، ولم يستمر حكمه فترة طويلة حيث بقي في الحكم سنة وتسعة أشهر، بينما يذكر ابن تغري بردي؛ أنه استمر في الحكم دون ثلاث سنوات، وتمتع بصفات حسنة منها الجود والعدل وحسن السيرة؛[51] وتوفي شمس الدين داود الأول عام (693ه/1294م) ولم تذكر المصادر ما يعكِّر الحياة في ماردين في عهده.[52]

11 - نجم الدين إيلغازي بن قره أرسلان (712-693هـ/1294-1312م)

تولى الملك المنصور نجم الدين أبو الفتح إيلغازي بن قره أرسلان حكم ماردين عام 693هـ/1294م بعد وفاة أخيه شمس الدين داود الأول،[53] وأحسن حكم ماردين حيث اتبع النهج الإسلامي في تدبير أمور ماردين ومعاملاته مع الرعية، كان شيخاً حسناً مهيباً، كامل الخلقة، بديناً سميناً، توفي في تاسع ربيع الآخر سنة (712هـ/1312م)، ودفن في مدرسته تحت القلعة،

---

[48] ابن تغري بردي، ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة***، 7: 90. الذهبي، ***تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام***، 12: 637. يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري، ***الدليل الشافي على المنهل الصافي***، المحقق. فهيم محمد شلتوت (مكة: جامعة أم القرى، د.ت) 2: 536. أحمد، ***بنو أرتق دراسة تاريخية***، 53-54.

[49] الذهبي، ***تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام***، 15: 735.

[50] أحمد، ***بنو أرتق دراسة تاريخية***، 54.

[51] أحمد، ***بنو أرتق دراسة تاريخية***، 55.

[52] إدوارد زامباور، ***معجم الأنساب والأسرات الحاكمة*** (بيروت: دار الرائد العربي، 1980)، 345.

[53] عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس ابن الوردي، ***تاريخ ابن الوردي***، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1996)، 2: 165.

وقد بلغ من العمر فوق السبعين، ومكث في الملك قريباً من عشرين سنة، وقام من بعده في الملك ولده العادل علي، فمكث سبعة عشر يوماً، ثم ملك أخوه الصالح بن المنصور.[54]

12 - العادل عماد الدين علي ألبي بن نجم الدين إيلغازي(712هـ/1312م)

تولى عماد الدين العادل علي ألبي بن غازي بعد وفاة أبيه نجم الدين إيلغازي وليس له في الحكم إلا الاسم وظل فيه مدة لاتزيد عن 17 يوماً، وتوفي في نفس العام (712ه/1312م).[55]

13 - شمس الدين صالح بن نجم الدين إيلغازي(765-712هـ/1312-1363م)

تولى شمس الدين صالح الملك بعد وفاة أخيه عماد الدين علي ألبي عام (712هـ/1312م)، وتلقب بالملك الصالح وفي عهده ساد ماردين الأمن والاستقرار والهدوء في أكثر الأوقات بسبب معاملته الحسنة مع الملوك والأمراء المجاورين له وتمتعت ماردين بالإزدهار الاقتصادي بسبب التجارة التي تمر من بلاده إلى الشام والعراق وبلاد الروم وبسبب العلاقات الودية مع الملوك المجاورين له وكان الملك شمس الدين صالح من أجل ملوك بني أرتق حزماً وعزماً ورأياً وسؤدداً وكرماً ودهاءً وشجاعةً وإقداماً، وكان يحب الفقهاء والعلماء والفضلاء وأهل الخير وكان له فضل وفهم وذوق للشعر والأدب، واختار أفضلهم لمملكته وكان يحبّ المديح ويجيز عليه بالجوائز السنيّة. ولصفي الدين عبد العزيز الحلّي فيه مدائح وغرر في مخلص بعض قصائده رحمه الله.

لم أشك جور الحادثات ولم أقل ... حالت بي الأيام عن حالاتها

مالي أعدّ لها مساوئ جمة ... والصالح السلطان من حسناتها

ملك تُقِرُّ له الملوك بأنه ... إنسان عينيها وعين حياتها.[56]

توفي السلطان الملك الصالح شمس الدين صالح ابن الملك المنصور نجم الدين إيلغازي عام (765هـ/1363م)، وقد ناهز السبعين سنة من العمر، بعد أن دام في سلطنة ماردين أربعاً وخمسين سنة. وتولّى ماردين بعده ابنه الملك المنصور أحمد.[57]

14 - المنصور أحمد بن صالح (769-765هـ/1363-1367م)

تولّى الملك المنصور أحمد بعد وفاة والده شمس الدين صالح وذلك لمَّا قدم الخبر بوفاة الصالح جهزت الخلعة بالسلطنة لولده المنصور أحمد ولم تذكر المصادر عن المنصور أحمد شيء يذكر سوى أنه تمرد على أمور الحكم في أيام والده وحكم ماردين مدة لاتزيد عن ثلاث سنوات.[58]

توفي السلطان الملك المنصور أحمد ابن الملك شمس الدين صالح صاحب ماردين بها، وكان صاحب همّة عليّة وحرمة سنية. رحمه الله تعالى.[59]

15 - الصالح محمود بن أحمد (769-769هـ/1367-1367م)

---

[54] ابن كثير، ***البداية والنهاية***، 18، 127.

[55] أحمد، ***بنو أرتق دراسة تاريخية***، 56.

[56] ابن تغري بردي، ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة***، 11: 86. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني، ***الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة***، المحقق. محمد عبد المعيد ضان (حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972)، 2: 358-359. شميساني، ***مدينة ماردين***، 250-251.

[57] أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، ***السلوك لمعرفة دول الملوك***، المحقق: محمد عبد القادر عطا، ط1(بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م)، 4: 276.

[58] المقريزي، ***السلوك لمعرفة دول الملوك***، 4: 276.

[59] ابن تغري بردي، ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة***، 11: 103.

تولّى الملك الصالح محمود بن أحمد حكم ماردين بعد وفاة والده الملك المنصور أحمد واستمر في الحكم مدة لاتزيد عن أربعة أشهر فقط حيث خُلِعَ من حكم ماردين عام 769هـ/1367م بسبب عمه المظفر داود ابن شمس الدين الصالح. وتسلطن الملك المظفر هذا فأظهر العدل واقتفى أثر والده الملك الصالح في الإحسان إلى الرعية وإصلاح الأمور إلى أن مات رحمه الله.[60]

16 - المظفر داود بن شمس الدين صالح (778-769هـ/1367-1376م)

تولى الملك المظفر داود عام (769هـ/1367م) وكان الملك المظفر هذا ولي مُلْكَ ماردين بعد ابن أخيه الملك الصالح محمود الذي أقام في سلطنة ماردين أربعة أشهر عوضاً عن والده الملك المنصور أحمد ابن الملك شمس صالح وخلعه وتسلطن الملك المظفر داود فأظهر العدل واقتفى أثر والده الملك الصالح في الإحسان إلى الرعية وإصلاح الأمور إلى أن مات رحمه الله. بعد أن حكمها نحو عشر سنوات وتولى سلطنة ماردين من بعده ابنه الملك الظاهر مجد الدين عيسى الآتي ذكره.[61]

17 - مجد الدين الظاهر عيسى بن المظفر داود (809-778هـ/1376-1406م)

تولى مجد الدين عيسى حكم ماردين عام (778هـ/1376م) بعد وفاة والده المظفر داود، وفي عهده كان القائم بشؤون ماردين وزير والده الأمير موسى وكان هذا الأمير غاشماً ظالماً، فقام مجد الدين عيسى بالقبض عليه. وتولى هو شؤون الحكم، وتميز بالكرم والسخاء وفي عهده هاجم قائد التركمان قراقوينلو (قره يوسف بن محمد) ماردين عام (793ه/1390م) واستولى على بعض القرى التابعة لها فأرسل مجدالدين عيسى إليهم جيشاً بقيادة الأمير فياض ابن الأمير علم الدين السنجاري، ولما بدأ القتال بين الطرفين هزم جيش الأراتقة وهزم قائده، وعندما رأى مجدالدين عيسى ذلك خرج بنفسه لقتال القره قوينلو، فدبر لهم مؤامرة حيث أظهر لهم الهزيمة وطلب منهم الصلح على مال يحمله لهم ولم يؤده، ثم بعد ذلك أغار عليهم وقتل منهم عدداً كبيراً وهزمهم بمضيق الدربند بالقرب من ماردين، وعندئذ انهزم القائد قره يوسف وبقي مجدالدين عيسى في حكم ماردين حوالي 31 عاماً إلى أن توفي عام (809هـ/1406م).[62] وكان الملك عيسى قد أُسر عند تيمورلنك سنتين وسبعة أشهر ثم اطلق سراحه وعاد إلى ماردين وسنأتي على تفصيل ذلك في مبحث التتار في ماردين.[63]

18 - الصالح شهاب الدين أحمد بن داود (811-809هـ/1406-1409م)

تولى شهاب الدين أحمد حكم ماردين عام (809هـ/1406م) بعد وفاة أخيه الملك الظاهر عيسى وكان آخر حكام آسرة بني أرتق في ماردين، ورغم ذلك عمل على تعمير ماردين من جديد، حيث قام ببناء المساكن المهدومة نتيجة الصراعات التي دارت بين الأراتقة والقوى الخارجية.[64] وقد كان شهاب الدين مشفقاً على الرعية ومكرماً للعلماء والشعراء والفقهاء ومدح الشعراء كرمه ولكن لم يجد شهاب الدين فرصة لاتمام ماقام به من أعمال وإصلاحات؛ داخل ماردين لتعرضها للهجوم من طرف قرا يلك عثمان عام (809هـ/1406م) فقام بتجهيز جيش أراتقة ماردين لملاقاة القره قوينلو ثم اتجه إليهم ووقعت بينهم حرب ففي البداية انهزم جيش قره يوسف بن قره محمد حيث قتل وأسر منهم عدد كبير، وبعد ذلك أعاد قره يوسف تجهيز جيشه مرة ثانية، وعاد للقتال مرة أخرى بصورة أقوى من المرة الأولى، حيث هزم جيش أراتقة ماردين وقتل منهم أعداداً كبيرة وأسر منهم جماعة حتى لم يبقى منهم إلا العجزة والضعفاء؛ عندئذ اتجه شهاب الدين أحمد للقلعة وتحصن بها، بينما ظل قره يوسف يحاصر القلعة من الخارج إلى أن اضطر الملك شهاب الدين أحمد للاستسلام لقره يوسف وطلب الأمان،

---

[60] ابن تغري بردي، ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة***، 11: 146.

[61] ابن تغري بردي، ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة***، 11: 146. ابن حجر العسقلاني، ***الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة***، 2: 220.

[62] أحمد، ***بنو أرتق دراسة تاريخية***، 58-59.

[63] المقريزي، ***السلوك لمعرفة دول الملوك***، 5: 393.

[64] شمياني، ***مدينة ماردين***، 283.

وبذلك ترك ماردين عام (811هـ/1408م)، وتنازل عنها (للقره قوينلو) بعد أن حكمها الأراتقة مايزيد عن ثلاث قرون واتجه إلى الموصل هو وزوجته وأقام بها أربعة أيام ومات هو وزوجته فيها وترك أربعة أولاد هم علي ومحمد ومحمود وأحمد، وانتقلوا من الموصل إلى سنجار وأقاموا بها حتى أصابهم مرض الطاعون وماتوا عام (814هـ/1411م)، ولقد كانت فترة حكم بني أرتق لماردين من أزهى العصور التي عاشتها ماردين والتي مازالت آثارهم وعمائرهم شاهدة عليهم إلى اليوم.[65]

الخاتمة

في نهاية هذا البحث نرى أن أول ظهور لبني أرتق كان في بيت المقدس عام(479هـ/1086م) أيام جدهم أرتق بن أكسك ثم بعد ذلك انتقلوا إلى بلاد الجزيرة الفراتية وأسسوا فيها دول مستقلة في ماردين وديار بكر وحصن كيفا وخرتبرت واستمروا حوالي ثلاثة قرون ونصف في تلك المنطقة وبحثنا استعرض الملوك في مدينة ماردين وكان أغلب الملوك من نسل نجم الدين إيلغازي الأول وكان الحكم وراثياً من نسل الأراتقة وقد أقام هؤلاء الملوك علاقات جيدة مع الدول المحيطة بهم وقد اهتم الأراتقة بالعلماء والشعراء والفقهاء وكذلك أنشأوا المدارس وانفقوا عليها أموالاً طائلة واهتموا بالعمارة أيضاً التي بدت واضحت ببناء المساجد المنسوبة لملوك الأراتقة في ماردين لقد كانت ماردين عاصمة للأراتقة فاهتموا ببنائها وإصلاحها بالرغم مماتعرضت له من حروب وغزوات خارجية لقد كان للملوك الأراتقة دور كبير في مواجهة الصليبيين بما عقدوه من تحالفات مع القوى الإسلامية المجاورة لهم وكانت فترة حكم بني أرتق لماردين من أزهى العصور التي عاشتها ماردين.

المصادر والمراجع

- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي. ***شذرات الذهب في أخبار من ذهب***. المحقق. محمود الأرناؤوط. ط1. بيروت: دار ابن كثير، 1986.

- ابن الفوطي الشيباني، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد. ***مجمع الآداب في معجم الألقاب***. المحقق. محمد الكاظم. ط1. إيران: مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، 1996.

- ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس. ***تاريخ ابن الوردي***. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1996.

[65] أحمد، ***بنو أرتق دراسة تاريخية***، 60-61. يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري، ***المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي***، المحقق. محمد محمد أمين (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984)، 1: 240-239.

- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري. ***الدليل الشافي على المنهل الصافي***. المحقق. فهيم محمد شلتوت. مكة: جامعة أم القرى، د.ت.

- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري. ***المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي***. المحقق. محمد محمد أمين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري. ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة***. مصر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، د.ت.

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد. ***الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة***. المحقق. محمد عبد المعيد ضان. حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972م.

- ابن القلانسي، أبو يعلى التميمي حمزة بن أسد بن علي بن محمد. ***تاريخ دمشق***. المحقق. سهيل زكار. ط1. دمشق: دار حسان للطباعة والنشر، 1983.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. ***البداية والنهاية***. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1. مصر: دار هجر للطباعة والنشر، 1997.

- ابن واصل، محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم. ***مفرج الكروب في أخبار بني أيوب***. تحقيق. مجموعة من المحققين. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية - المطبعة الأميرية، د.ت.

- أبوزيد، نبيلة عبدالفتاح كامل. ***مدينة ماردين ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي حتى وفاة صلاح الدين الأيوبي***. رسالة ماجستير غير منشورة. بنها: جامعة الزقازيق/كلية الآداب، قسم التاريخ، 1998.

- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب. ***المختصر في أخبار البشر***. ط1. مصر: المطبعة الحسينية المصرية، 1907.

- أحمد، أسماء إبراهيم محمد. ***بنو أرتق دراسة تاريخية***. رسالة ماجستير غير منشورة. المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، 2011.

- الأصفهاني، عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد. ***البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان***. المحقق. عمر عبد السلام تدمري. ط1. بيروت: المكتبة العصرية، 2001.

- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق. ***مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع***. تحقيق. علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل، 1992.

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله. ***سلم الوصول إلى طبقات الفحول***، المحقق. محمود عبد القادر الأرناؤوط. إسطنبول: مكتبة إرسيكا، 2010.

- الخليل، عماد الدين. ***الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام***. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1980.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. ***سير أعلام النبلاء***. المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. ***تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام***. المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2003.

- رانسيمان، ستيفن. ***تاريخ الحملات الصليبية***. ترجمة. نور الدين خليل. ط1. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.

- زامباور، إدوارد. ***معجم الأنساب والأسرات الحاكمة***. بيروت: دار الرائد العربي، 1980.

- سبط الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله. ***مرآة الزمان في تواريخ الأعيان***. تحقيق. مجموعة من المحققين. ط1. دمشق: دار الرسالة العالمية، 2013.

- شميساني، حسن. ***مدينة ماردين من الفتح العربي إلى سنة 1515م/921هـ***. ط1. بيروت: دار عالم الكتب، 1987.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله. ***الوافي بالوفيات***، المحقق. أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث، د.ت.

- الصوري، وليم . ***الحروب الصليبية***. ترجمة. حسن حبشي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.

- عمر بن محمد، عبدالسلام. ***تاريخ ماردين من كتاب أم العبر***، تحقيق. حمدي السلفي وتحسين الدوسكي. ط1. بيروت: دار المقتبس، 2104.

- لسترنج، كي، ***بلدان الخلافة الشرقية***، ترجمة. بشيرفرنسيس وكوركيس عواد. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985.

- مجموعة من المؤلفين، ***الموسوعة العربية***. ط1. دمشق: دار الفكر، 2002.

- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر. ***السلوك لمعرفة دول الملوك***. المحقق. محمد عبد القادر عطا، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي. ***معجم البلدان***. بيروت: دار صادر، 1977.

- Acat, Yaşar. ***Mhallemi Lehçesinde Kullanılan Atasözü ve Deyimlerin Siirt Arapçasında Kullanılan Atasözü ve Deyimlerle Mukayesesi***. The Journal of Academic Social Science Studies, Sayı: 62, Kış I, 2017.